الرجوع الى الحق

يقولون من أدب الكلام ان تختلف و لا تخالف.. فالأول يعنى المشاركة الايجابية براى قد لا ينفع ولكنه قطعا لن يضر و الثانى يصف السلوك السلبى و الذى ينطوى على قدر من الاثارة او المكايدة او تعكير الصفو فى محاولة فرض الراى الآخر.

و كثيرون يعتزون بانهم قد لقنوا درسا أو شبعوا حرثا فى أرض الأخرين عندما يتفاخرون كيف انتهى الاجتماع أو انفض الإجماع بعد ضربتهم القاضية... وهذه هى المصيبة الكبرى، ولعل من باب القول المكرور ان نردد قول الشاعر:

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا واذا افترقن تكسرت آحادا

أقول المكرور من فرط ملاحظاتنا اليومية و معاناتنا الجماعية لكثيرين كسروا رماحهم و رماح الآخرين فى أزمنة متعاقبة و أمكنة متباعدة و لم يحصدوا شيئا و ما زالوا يمارسون رياضة كسر الرماح و الناس فى غفلة من أمرهم يصفقون فى شتى اللقاءات و كل الإتجاهات حتى تخطى بعضهم كل الثوابت و المتغيرات و لا حول و لا قوة الا بالله... و قبل الخوض فى التفصيل أبدأ بتصنيف نفسى، والنفس امارة بالسوء، مستصحبا أغنية الصديق العملاق الأستاذ محمد وردى فى كلمات الشاعر الراحل صلاح احمد ابراهيم: (غريب....يكابد غربته) فى (الطير المهاجر)، الذى لم يبدا موسم العودة الى الوطن بعد. و مازلت أكتب من الخارج الى الداخل فلا يقعدنى الإنتماء الى طائفة حزبية أو سياسية ولايحركنى الغرض مع فئة ضد جهة أوأخرى غير انتسابى الأخلاقى الى مهنتى و التزامى الأزلى الى و طنى الكبير لا العشيرة و لا القبيلة و لا الإقليم وان ظلت الماعون الذى يحتضن الجذور ومنذ الخروج العظيم فى عام ....1970. و رغم كل الإغراءآت وشتى المغريات حافظت على صبغة "الميلانين" التى تحت طبقة الجلد الذى قاوم كل التغيرات المناخية عدة عقود.

عود على بدء... فإننى لا احاول ان أبرئ نفسى مما يدنس نفسى او أترفع عن هواجس الخطأ البشرى او أتعالى على الطيف الفكرى أو النسيج الثقافى والسياسى الذى ينظم كل الساحة و أنا أتجول طليقا خارج البلاد فقد سبق و أن قلت وكتبت فى مقدمة ديوان (نقوش على البحر) عام 1982 مستدركا فى الحديث : "أرجو أن يكون فى بعدى عن الساحة العذر كل العذر فى الافراط او التفريط فى الصراحة". و مازلت اكرر هذا الرجاء فلقد دفعت ضريبة الاغتراب عزوفا عن الحراك السياسى وقد كنت جزءا منه و وقوفا عند عتبة النقد الذاتى و قد كنت احد دعاته بعد ما صار الداخل مفقود و الخارج مولود رغم قناعتى الداخلية بان من لا يشارك فى مسيرة الهجير لا يحق له الصعود فى منصة الوعظ و التبشير إلا من باب حق المواطنة وتزكية الوجدان الجماعى لأن حلم المغترب العودة الى أحضان الوطن و دفء حركة المشاركة و التعبير لأن أهل مكة أدرى بشعابها.

عود على بدء ... لا يعنى هذا اننى لا أحمل وجهة نظرفى كل هذه الأمور أعتز بها و أدافع عنها بعد أن إكتسبت نضجا و وعيا فى الخارج، و لكنها لم تتلاقح مع رياح الخماسين التى عصفت بالداخل و لذلك تفتقر الى معايشة التجربة و صدق المعاصرة و هى مقومات أساسية لتطوير القدرات و تنمي الذات وصقل المهارات الفردية و الجماعية. إن الأفراد و الجماعات الثقافية والسياسية التى تعيش فى الخارج تعانى من فقدان هذه

PDF processed with CutePDF evaluation edition www.CutePDF.com

التجربة المشبعة باللقاح الفكرى الداخلى و الذى يكسبها مناعة الوقوع فريسة الاحباط النفسي والذى كثيرا ما يشل قدرة القادم من الخارج على الإستمتاع بعافية التاقلم مع الداخل.

و قد يكون من مظاهر هذه العافية ان أذكر أن اختيارى الكتابة فى صحيفة (ألوان) فى هذا السياق قد تم بصورة توضح نموذجا من الأمثلة التى ذكرتها فى تحديد طبيعة الإشكال القائم بين شكل الإختيار و حرية القرار وأن معطيات عدة تتدخل فى تشكيل هذا السلوك ..فلماذا عدت الى الكتابة فى هذا الوقت بالذت ولصحيفة (ألوان) بالذات و انا ما زلت بالخارج أستطيع أن أؤكد أنه لا أنا و لا صحيفة (ألوان) كان لنا اتفاق مسبق وربما كنت فى خارج دائرة تفكيرهم وكانوا فى آخر قائمة أولوياتى، ولكن فى وجود مناخ نفسى معافى وهامش آمن من الحرية تستطيع أن تسلك كل الطرق الآمنة فى الوصول الى المدينة الفاضلة و هذا ما حدث...

لقد بدأ النقاش العفوي مع صحفى عضو فى أسرة التحرير الأستاذ عثمان شبونه والذى يسكن فى منطقة مجاورة و يزورنى فى زياراتى الخاطفة ويحرص على ملاقاتى وأسعد به كثيرا ويكتب عنى أكثر وأكبرت فيه هذا الحس المهنى المتنامى بعد كل زيارة و قررت ان أرد له الجميل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فوعدته أن أكتب له و كانت بالنسبة لي نافذة أطل منها على الوطن وأشتم منها رائحة الدعاش تسوقه قطرات المطر و رأيت فى هذه النافذة أحد دروب العودة و التى لا تكلفني وعثاء السفر ومعاناة الإنتظار فى صالات المغتربين.

وأروع من كل هذا أنها أقصر الدروب للوصول الى قلب القارئ السودانى و الذى أشقى كثيرا واكتب كثيرا و انفق كثيرا لأطبع أخيرا و أسال أجيرا ليوصله رسالتى المؤجلة.

يحدث هذا وأنا أعلم سلفا أن من يجلس على قمة الهرم الصحفى هو رئيس التحرير الأستاذ حسين خوجلى و الذى أعرفه جيدا و لاقيته عدة مرات و شاركته بعض الحلقات التلفزيونية و لكن فى أوقات لم تتوفر فيها الظروف الموضوعية للكتابه و لا الحالة النفسية للحديث.

و فى هذه المرة الأخيرة و قبل البدء فى الكتابة وحتى ندخل البيوت من أبوابها طلبت من الأستاذ شبونة أن يوصلنى بالأستاذ حسين خوجلى وكان على علم بما يدور فما كان منه إلا أن استبشر خيرا و رحب كثيرا وبلا قيد أو شرط بل طلب منى بأسلوب حضارى ان أرسل مقالتى بالبربد الإكترونى مباشرة إلى ماكينة الطباعة حتى لا تتعرض للتشويه فى التصحيح أو الرقابة فى التصليح.

عود على بدء....و فى نطاق الحديث عن الخلاف و الإختلاف و فضيلة الرجوع الى الحق فى أدب الكلام فإن الأصل الجامع و المانع هو الحوار وهذا يقتضى ضرورة الإجتماع للوصول الى الحد الأدنى من الإتفاق فى كل شئ ..فالإجتماع لايعنى الإجماع .. و الإجماع لا ينبغى أن يلغى الراى الآخر و لكن لا بد من نقطة بداية.. و البداية لا بد أن تكون حول هدف و الهدف لا بد أن تكون له قواسم مشتركة وفى حل الصراعات النفسية وفن الإستشارات الأسرية وبعيدا عن متاهات الدبلوماسية السياسية يقولون إن فن الإقناع يكمن فى تكثيف الرؤي من زاوية واحدة حول الإتفاق و يقال: "اذا أردنا أن نعدل او نظلم فلنتفق .. فاذا لم نتفق فى العدل فلنتفق فى الظلم".

ربما لأننا لن نتقاتل داخل النفق المظلم حتى رؤية الضوء والضوء لا يظهر إلا الحقيقة ,,و لطالما ان نقاط الإتفاق أكثر من نقاط الإختلاف فلا بد من الوصول الى حل أبعد من الظلم و أقرب الى العدل . فالعدالة المطلقة ليست من صنع البشر. فلا بد من قياس سقف طموحاتنا مع واقع أطروحاتنا والتى هى من صنع البشر الخطائين و خير الخطائين التوابون و الرجوع الى الحق فضيلة.

عود على بدء... فليس كل من لم يشارك فى التوقيع أو يحضر مراسم الإحتفال يعتبر قد فاته شرف المشاركة فى صنع السلام فاللحظة الحاضرة كانت لها سابقة تذخر بإسهامات عقول مدبرة ولها لاحقة فى انتظار قلوب مطهرة تغسل ما تبقى من ادران و ما علق بها من أحزان و ليست هذه نهاية المطاف فلا يزال هناك الكثير المثير الخطر و العاقل من يتهيأ لصنع الأحداث الجسام و المواقف المصيرية التى تحتاج الى عقول نيرة وقلوب خيرة تحمل فى حدقات عيونها هموم هذا الوطن و ما أكثر هؤلاء! وإلا كان من حق كل أهل المليون ميل مربع المطالبة بنفس الحقوق. فليس هنالك فرد لم يتضرر من الحرب بصورة أو بأخرى ولكن يستحيل على كل هؤلاء ركوب نفس القطار فى وقت واحد، فلينتظر كل فى محطته وصول القطار فى الوقت المناسب، فلا بد للقطار من الوصول وهو قادم لاريب فيه.

فإذا كان لا يضيرنا أن نقول للمخطئ أخطات.. فينبغى أن نقول للمحسن أحسنت.. و هذه شيم الكرام.
وأخيرا .. أليس الرجوع الى الحق فضيلة؟!

دكتور الزين عباس عماره – أبوظبي